مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد7،العدد3 – ديسمبر 2020
OEB Univ. Publish. Co.

تفهم صور المرأة الجزائرية إبّان الثورة التحريرية: دراسة استطلاعية

Understanding the images of Algerian women during the liberation revolution: a heuristic study

د. عبدالقادر بَهتان*، جامعة قالمة،الجزائر.
Abehtc2i@gmail.com

تاريخ التسليم:(2020/02/24)، تاريخ المراجعة:(2020/03/02)،تاريخ القبول:(2020/03/29)

ملخص :

ارتكزت دراستنا على صور للمرأة الجزائرية (12 صورة (مقتبسة من كتاب" إيفس كوريار1992)"، الجزء7) عن الثورة التحريرية . قمنا بمحاولة قراءة وفهم دلالات تمثّل المرأة الجزائرية إبّان الثورة التحريرية فهما إسقاطيا وتحليليا لجيلين من أفراد العيّنة (20 شباب الأمس، و42 شباب اليوم). طبّقت الدّراسة بشكل إسقاطي، من خلال اختبار تفهم المرأة.

أبرزت نتائج الدّراسة الاستطلاعية، صدق وثبات «اختبار تفهم موضوع المرأة أثناء الفترة التحريرية». وأنّ الشعور بمكانة المرأة لدى شباب اليوم لا يختلف بشكل دلالي عن مشاعر جيل الأمس.

الكلمات المفتاحية: اختبار إسقاطي،المرأة الجزائرية، ثورة، جيل.

Abstract :

Our study was based on images (12 images) taken from the book by Y. Courrière (1992, Tome7) on the Algerian revolution. We have tried projective reading and understanding the meaning of the representation of Algerian women during the period of the revolution, based on the analysis of the responses of the two generations of our sample (20 experienced, 42 young). The study applied in a projective way, through the apperception test of the woman.

The study is projective, to try to understand the imaginary of the young people who lived the revolution and those who did not live it.

The results of our heuristic study, showed the validity and the fidelity of the test "TAT of the woman during the period of the revolution". And the feelings about the status of women in today's youth do not differ significantly from those of experienced individuals.

Keywords: projective test, Algerian woman, revolution, generatio

* المؤلف المراسل: د. عبدالقادر بَهتان ،الإيميل: Abehtc2i@gmail.com

مقدمة:

على امتداد التاريخ العربي وثوراته التحرّرية، كانت المرأة رمزا لحياة الوطن. فعندما تخسر المرأة، سيخسر الجميع، وعندما ترقى المرأة يرقى الوطن، والفرد، والمجتمع. والثورة التحريرية الجزائرية شاهدة على ذلك، حيث حوّلت المرأة الجزائرية والعربية على حدّ سواء إلى أيقونة في عالم كان دورها تسوده ضبابية إلى حدّ ما. لقد كرّستها بحق لتصبح رمزا، في وقت أراد المستعمر اغتصاب حرّيتها للأبد، أو مسحها وجعلها رمزا لخذلان الرجل.

اعتمدنا، في دراستنا الاستطلاعية، على مجموعة من الصور أردنا تجميعها في بعدها السيكولوجي، بعدما اقتبسنا فكرة البحث من اختبار تفهم الموضوع لِـ" موراي (Murray) "يكمن الفرق في كون القصّة المروية حول صور المرأة قد عايشها المفحوص، أو من خلال المخيال الجماعي لدى الشباب غير المعاصر لها خلال فترة الثورة التحريرية. صور تبرز المرأة في إطارها الواسع. والتي ربّما لم تختر عفويا (من قبل صاحب الكتاب).

يعمل اختبار تفهم الموضوع على اكتشاف الجانب الدينامي للشخصية من خلال سرد قصّة من مخيال المفحوص حول قصّة، لم يشهدها من قبل، لا في فيلم، أو في حلم، أو لم يخاطر بها مع أحد. بحيث يسقط الفرد إحساساته، وصراعاته، ودوافعه. مع العلم أنّه لا يشير (الإختبار) إلى كيفية تفكير المفحوص، بل لماذا يفكّر بهذه الطريقة .أو كما يعبّر البعض (Lawrence Frank, 1939).أنّ : **[...]" المبدأ الأساسي لتقنية اسقاطية ما، هو التعبير عن طابع الشخصية الأساسي للفرد بكيفيات مختلفة**(Pichot, 1962, pp. 87-88) ".

مثل هكذا بحوث نفسية (أكثر منها تاريخية)[1] تهدف إلى اكتشاف الأنا العميقة للفرد، والمِخيال الإبداعي للشاب الجزائري غير المعاصر للثورة مقارنة بجيلها .والهدف الثاني يدور حول وسيلة معرفية للتنقيب عن مواضيع حول المرأة العربية عموما، والجزائرية تحديدا، سيما في الحقبة الإستعمارية. فضلا عن المشاركة ومن زاوية نفسية حول أغوار المواضيع وبواطنها في نفسية المواطن، بل والمقاربة بين الأجيال. والأهم من ذلك إعداد اختبار إسقاطي يهدف إلى تحليل شخصية المفحوصين ومدى إدراك هُوية الشباب الجزائري، ومدى تعلّقهم بماضيهم، على الأقل لكيلا تتكرّر المأساة.

[1] لطالما تساءلنا: إن لم يُدرس التاريخ نفسيا و/أو اجتماعيا، فكيف سيدرس؟ هل سيروى فقط؟

1. الإطار المفاهيمي للدّراسة:

1.1. إشكالية:

هل يمكن اعتبار مجموعة صور، تاريخية للمرأة إبّان الثورة التحريرية، أداة للحصول على مدركات المفحوصين حول المرأة الجزائرية خلال حقبة معيّنة؟ ما طبيعة المدركات حول المرأة قيد الدّراسة لجيلين أحدهما عايش وكان مدركا للحقبة الاستعمارية، والآخر لم يعايشها؟

كيف سيمثّل المخيالان الجزائريان (المعاصر والمخضرم) المرأة من خلال اختبار إسقاطي مكوّن من الصور قيد الدّراسة ؟

2.1. الفرضية العامة:

يمكن اعتبار مجموعة الصور المقتبسة قيد الدّراسة وسيلة للحصول على مدركات من قبل الجيلين.

1.2.1. الفرضيات الجزئية:

تشكّل مجموعة الصور المقتبسة قيد الدّراسة وسيلة اسقاطية مقنّنة للحصول على مدركات المفحوصين .

توجد مواضيع متعدّدة ومتقاربة وسط الجيل المعايش للثورة (المخضرم)

توجد مواضيع متعدّدة ومتقاربة وسط الجيل غير المعايش للثورة (غير المخضرم)

توجد مواضيع متعدّدة ومتقاربة بين الجيلين المعايش وغير المعايش للثورة (المخضرم وغير المخضرم).

2. أهمية وأهداف الموضوع:

الدّراسة مهمة للغاية في الدّراسات الإنسانية والاجتماعية، سيما مدى استثمار علم النفس في الميدان التاريخي، وهو أمر مهم، يمكّن من فهم الأحداث التاريخية من خلال التوظيف النفسي للأشخاص. فضلا عن استخدام منهجين على الأقل في الدّراسات من هذا النوع .

مقصد دراستنا الاستطلاعية، محاولة الكشف عن تصورات جيلين، أحدهما عايش فترة الثورة، والآخر لم يعايشها، حول المرأة إبّان تلك الفترة. بحيث نحاول إجراء مقاربة بين تصوراتهما من خلال تطبيق اختبار مكوّن من صور المرأة الجزائرية قيد الدّراسة بهدف إجراء خصائص سيكومترية على هذا الاختبار .

3. دراسات سابقة:

في حدود بحثنا، لا توجد دراسات إسقاطية سبقت هذا الموضوع المدروس، سيما اختبار يحتوي على صور نساء جزائريات إبان فترة الثورة التحريرية. إلاّ أنّنا اتخذنا من بعض الاختبارات الاسقاطية نموذجا مثل اختبار تفهم الموضوع للراشدين(TAT) ، واختبار تفهم الموضوع للأطفال(CAT) ، واختبار "زوندي Zscondi "، واختبار ناطان "و" موكو .Nathan & Mauco "، واختبار الرورشاخ،...الخ كلّها اختبارات تعتمد على استجابات من خلال الإدراك البصري للصور. لكنّ الفرق مع الصور المطبّقة في مثالنا، أنّ المسمى اختبار تفهم المرأة ينبع من صور الإرث التاريخي. أي صور حيّة.

4. مفاهيم نظرية:

1.4. صورة المرأة والثورة التحريرية:

مثل الوطن من مقوّمات الشخصية الوطنية، كونه الحيّز الذي ينمو داخله الفرد والمجتمع. لأنّه الحيّز الذي يثبّت الفرد فيه كيانه. فقوة الوطن تقوي الثوابت، أو الهوية. وضعف الهوية من ضعف الوطن. فالهُوية الضعيفة لا تعرف القيمة الفعلية للوطن. إنّما تهدّد كيان الفرد والمجتمع. (بَهتان، 2018، ص. 98)، وعلاقة المرأة بالوطن هي بمثابة علاقة الهوية به. هل يمكن القول بأنّ المرأة هي الوطن؟ لأنّه إن ضعفت (المرأة) تزعزع الانتماء والهوية، والوطن .

وعند الحديث عن المرأة (الجزائرية) لا نجد لأنفسنا فسحة في التعبير عنها إبّان الفترة التحريرية خصوصا إلاّ بالولوج إلى نفسيتها من باب الأدب النفسي. ولا نزعم أنّنا قادرين على إعطاء مفهوم للمرأة يشفي غليل حقّها الوجودي، لأنّ شأنها ومكانتها مهما كتب الكتاب والباحثون، في نظرنا، لا يمكن تشبيهه إلاّ بذرّة من ذرّات حسنات الابن تجاه والدته. لأنّه و في تصورنا، لا يمكن أن يتم ذلك إلاّ بوصف شواهد الواقع لتعطي المثال والوصف الدقيق. إنّنا نرى المرأة والجزائر في علاقة أزلية أبدية تكاد تتلاحم لتوصف في كلّية واحدة، وليس بمعزل الواحدة عن الأخرى. لقد وهبت هذه المرأة الرجولةَ في أبنائها وبناتها لحماية نفسها. لقد تنهّدت من عمق أكبادها تنهدات مفهوم الحرّية الحقة، لقد أتت على كل ما هو أثري فيها لتذكّر بمعنى أن تعيش حراّ، مثلما توارثه الأجداد في بلد، في وطن. إنّها رمز المخزون العاطفي، والدافع للحياة، والمولّد للطاقة والعزيمة، والإقدام، والشجاعة، ورباطة الجأش، وتحرير الذات بالوطن.

إنّنا بالكاد نعطي مفهوما لرمزيتها وعلاقتها بالثورة التحريرية، إلاّ أنّنا نصفها كما وصفها الباحث الثائر" فانون(1970"، في بَهتان،2017) في إحدى كتاباته (فانون، 1970 .سوسيولوجية الثورة، ط1. بيروت : دار الطباعة والنشر)، وصفها في سياق عميق الدلالات السوسيولوجية. ونضيف بأنّها تلك العفّة الصافية، الجميلة الحسناء ببساطتها وخضوعها لأوامر العائلة والمجتمع وتقاليده، لا تكاد أن تميز بينها وبين حميمية الطفل الصغير في بيئته الوالدية، بل و"حومته ."هذا الكائن اللطيف الذي تقمص عادات المجتمع فتبناه المجتمع، وفي يوم ما يثور ثائره على طبائع" الحرمة "التي تربى عليها، أو بالأحرى تمرّد على من اعتدى على هذه" الحرمة "التي هي من صنيع المجتمع. لكنّ هذا الأخير الذي تقبّلها، ليس لأنّها اعتدت على" الحرمة "إنّما لكونها انتقلت إلى ترميم" الحرمة "التي ألفتها وتربّت عليها. اقتضت الضرورة وحملت السلاّح، والعدو عندما زاد في نفسه حب الاعتداء علم أيضا بأنّ استيقاظ الأمة بكاملها عندما تستيقظ المرأة، سيما في مجتمع ربط رجولته بحرمتها .

لقد قبلها المجتمع بقبول حسن لأنّها أشعرت العدو تمام الشعور بأنّ ساعة الخطر هبّت عندما شعر الطفل الصغير التهديد بغياب أمّه، والرجل بخوفه على أخواته أو أمّ أولاده. لقد كانت صمّام الأمان، وجهاز الاهتزاز، عندما انتقلت إلى الفعل قبل أن ينتقل إليها. فالمرأة وثورة تحرير الجزائر، بالمقام الأوّل،

قد تكون ثورة البحث عن" سكينة حرمة ذاتها "التي امتدت إلى أرض الوطن. فهل هي كذلك في مخيال الأجيال المتوارثة؟

2.4. اختبارات الشخصية:

تمثّل اختبارات الشخصية كل المظاهر غير التفكيرية التي تخص الخصائص الشعورية والعاطفية. لأنّها تمكّن من توضيح الجانب البنيوي للشخصية. فالإختبارات من شأنها توضيح سياق الشخصية، ومظهرها الدينامي بدل عن بنيتها أو مظهرها الشكلي. واختبارات الشخصية بوجه عام صنفين :موضوعي وإسقاطي (مور، 1973، ذُكر في بَهتان،2017) على سبيل المثال لا الحصر اختبار تفهم الموضوع (اسقاطي)، واختبار مينيسوتا للشخصية (اختبار موضوعي).

3.4. جيل:

أجيال مفردها جيل، وهو الصنفُ من الناسِ، وقيل: الأمةُ والجنسُ، والقَبِيل، وهو ثُلُث القرن الذي يتعايش فيه الناسُ.(المعجم الوسيط). أو مثل الذي أتى به بن خلدون": اعلم أنّ اختلافَ الأجيالِ في أحوالِهم، إنما هو باختلاف نِحلَتِهم من المعاش(ابن خلدون،1984، ص.120).الأمر المركزي الذي يعبّر عن التمييز بين الأجيال هي الثقافة. أي كيف ينظر إلى الحياة والعالم.

من الناحية الاجتماعية، يميّز بين الأجيال من خلال السّن، والخبرة الحياتية، والأفكار، و وجهات النظر، والقِيَم، والعادات، والتقاليد. ومن الناحية النفسية الفارق بينهم يكمن في التوظيف النفسي وديناميّاته. إنّ «مفهوم الجيل» من المفاهيم الضرورية في تفسير الظواهر المرتبطة بتطور النمو، وتحليل العوامل المحددة للتغيير الحادث على مستوى الفرد والمجتمع. و إنّ النقل النوعي للقيم متوارث بالضرورة بين الأجيال، إلاّ أنّ عدم التطابق بين القيم تلك، قد يحدث الخِلاف (مختلف عن الاختلاف) داخل المجتمع الواحد، ربّما بفعل التواصل المعلوماتي لدى الشباب، في أنساق وعوالم مختلفة عن الجيل" غير التكنولوجي"، نتج عنه هوة كبيرة في العادات و المعرفة و وجهات النظر، فيترك بذلك أثرا خاصاً على فروقات القيم بين الأجيال .و الذي يسميه البعض بصراع الأجيال.

5. مفاهيم إجرائية:

1.5. اختبارات الشخصية لِـ صور المرأة الجزائرية: المقياس المطبّق في الدّراسة من شأنه يقيس شخصية الفرد. من خلال استجابات الفرد حول صور(12 صورة مقتبسة من كتاب). من خلالها نبحث في امكانية ولادة اختبار جديد نابع من الثراث الوطني، والوعي الشعبي.

1.1.5. جيل الحقبة الإستعمارية: جيل عايش الحقبة الاستعمارية وشهد تلك الفترة في مختلف أطوارها الحياتية. هم من الأفراد المعنيون بالدّراسة.

2.1.5. جيل الإستقلال:جيل ولد في فترة الاستقلال، ولم يشهد الحقبة الاستعمارية.

6. إجراءات الدّراسة:

مثلما أعطى" موراي "تعليماته لتطبيق لوحات الاختبار" : هذا اختبار التخيّل والإبداع. سأعطيك صورة وأطلب منك خلق قصّة مفسّرة وموضّحة للصورة ".ماهي العلاقة بين الأفراد الموجودين في الصورة؟ ماذا حدث لهم؟ ما هي مشاعرهم وأفكارهم الآن؟ ماذا سيحدث لهم؟ (Gobet, 1976, p. 182)"

نقول للمبحوث" :استخدم مخيّلتك، وحاول أن تعبّر بكيفية مفصّلة إن أمكن عن هذه الصور "

لقد دوّنت 18 صورة عن المرأة في العدد السابع من مجلّد" إيفس كوريار Y. Courrière (1992) "، مستمدّة من الفترة الإستعمارية، مثّلت المرأة (وهويتها) في فترة الثورة التحريرية. صور في غالبيتها تبرز المرأة الزوجة، والأم، والشهيدة، والمجلهدة، أو في حجابها (لَعجارْ ،لملاية،الحايك)، شخصيات ربّما مجهولة، لكنّها معروفة على مستوى المِخيال الجماعي، وواحدة معروفة في الواقع سيما صورة المجاهدة "ظريف. مع العلم أنّ كل أصناف النساء ساهمن في التصدي بكل ما يملكن لمواجهة المستعمر ،لأجل الحفاظ على الهوية. فضلا عن أنّ دلالة هذه الصور التي لا يمكن تفسيرها خارج السياق الذي أخذت فيه. لقد شكلّ الزمان والمكان دلالة ورمزية هذه الصور.

1.6. حدود الدّراسة:

1.1.6. المتغيّرات الداخلة في الدراسة:

(12)صورة للمرأة من كتاب" إيفس كورييز" تكون قيد الدّراسة.

2.1.6. المتغيّرات الخارجة عن الدراسة:

صور من غير المرأة في نفس الكتاب.

2.6. منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في الدّراسة" الوصفي ."سيما في وصف وتحليل تصورات المبحوثين حول الصور من الكتاب الذي اشتقت منه الصور .

3.6. عيّنة الدّراسة الاستطلاعية:

تمّ تمرير (12) صورة كلّها تصوّر المرأة في مختلف الفضاءات، مأخوذة من الكتاب المذكور أعلاه، على مجموعة من المفحوصين الموضّح عددهم في الجدول أسفله :

جدول1 : يوضح عيّنة الدّراسة الإستطلاعية

–	ذكور	إناث	المجموع
جيل معاصر للثورة	11 (0,5 ,79)	09 (1,5 ،80)	20
غير معاصر للثورة	23 (2,5 ،31)	19 (1,5 ،27)	42
المجموع	34	28	**62**

مرّرت الصور المنتقاة على جيلين متمايزين (62 فرد). (20) فرد يمثّلون الذي نصطلح عليهم بالجيل الأوّل (11 ذ، 9إ) عايش الثورة التحريرية. متوسط أعمار الذكور والإناث 79 سنة، و80 سنة على الترتيب.

بالنسبة للجيل الثاني، (42) فرد (23ذ، و19إ) لم يعايشوا الثورة التحريرية، متوسط أعمارهم، 31 سنة بالنسبة للذكور، و19 سنة بالنسبة للإناث.

أمّا طريقة انتقاؤهم فقد تمّت بصفة عشوائية من الجامعات ودور الشباب ومن المقاهي الإلكترونية، أمّا بالنسبة للجيل الأوّل فقد تمّ انتقاؤهم عن طريق كرة الثلج. كل المقابلات معهم تمّت في بيوتهم عن طريق أبنائهم أو جيرانهم أو أقاربهم، أو من معارف الباحث.

4.6. أداة البحث:

من مجموع (18) صورة في كتاب" إيفس كورير1992"، الجزء7) عن المرأة إبّان الثورة التحريرية، تم انتقاء (12) منها والمشكّلة للاختبار الذي سيطبق على أفراد العيّنة الكلّية.

قمنا بمحاولة قراءة وفهم دلالات تمثّل المرأة الجزائرية إبّان الثورة التحريرية فهما إسقاطيا من قبل جيلين متمايزين، تم رصد المعطيات وفق طرائق الاختبارات الاسقاطية. بحيث كانت التعليمة تنص على: "لا حظ الصورة التي أمامك، هل يمكن التعليق عليه في كلمة على الأقل؟"

7. نتائج الدّراسة:

تجلى توافق استجابات أغلب أفراد عيّنة الدّراسة الإستطلاعية. وأغلب مواضيع المفحوصين قيد الدّراسة تمركزت في أهم التصورات حول ما يلي (الجدول2):

جدول 2: يوضح مواضيع استجابات الجيلين على اللوحات (أنظر الصور في الملحق)

جيل الحقبة الإستعمارية	جيل ما بعد الحقبة الإستعمارية
الصورة –I– : امرأة استشهدت، شهيدة...	**الصورة–I–** :امرأة مارّة قتلت ظلما، امرأة مجروحة، امرأة مغتصبة
الصورة–II–: توقيف الزوج واعتقاله، وطرد المرأة	**الصورة–II–**: أثناء العودة أو الذهاب العسكر يقاطع الزوج، تلفيق تهمة للرجل دون اعتبار للمرأة. تمّ أخذه، امرأة لم تستطع الدّفاع عن زوجها، ترملّت،...
الصورة–III–: امرأة تجتاز نقطة مراقبة، تمّ تفتيشها لمعرفة ما تحمله.	**الصورة –III–**: اجتياز امرأة نقطة رقابة عسكرية.
الصورة–IV–:توقيف أيضا للمرأة لاستجوابها.	**الصورة –IV–**: امرأة توقف في نقطة مراقبة .
الصورة–V–: امرأة صامدة، قوية العزم، صامتة لا تريد البوح بشيء، المرأة الحرمة،	**الصورة –V–**: امرأة تتعرّض للتفتيش.
الصورة–VI–: نساء ورجال مستوقفين للتفتيش. الرجل قلق للمشهد.	**الصورة –VI–**: امرأتان تتعرّضان للتفتيش بواسطة أجهزة. تتعرّض للكشف، وتنحية" لعجار"
الصورة –VII–: مجاهدة.	**الصورة–VII–**: امرأة تحمل السلاح، ربّما قتلوا زوجها، أو أحد أفراد عائلتها.
الصورة–VIII–: عائلة في خيمة، فقر،... الرجال (في الجبل(	**الصورة–VIII–**: امرأة تهتم بأطفالها، بأطفال اليتامى .
الصورة–IX–: امرأة تخاف على أولادها من الطائرات، وتخاف على المجاهدين.	**الصورة–IX–**: امرأة تختبئ من (مخاطر) القصف بالطائرات.
الصورة–X–: امرأة مع ابنها، تفكّر في غياب زوجها.	**الصورة–X–**: امرأة تهتم بولدها،
الصورة–XI–: فقر، معاناة، عذاب، جوع،... تحمّل، تريد الانتقام لابنها، و لزوجها .	**الصورة–XI–**: امرأة فقيرة تهتم بابنها الجائع، أو الفاقد لأبيه.
الصورة–XII–: المرأة ترعى أولادها، الرجل يعتمد عليها.	**الصورة–XII–**: امرأة تذهب إلى مكان ما برفقة أولادها، وفي غياب زوجها.

استجابات جيل الحقبة الإستعمارية: ذكور أم إناث تمركزت مواضيعهم على أنّ المرأة هي الأم، والزوجة، والبنت. عانت كل واحدة الخوف، والقتل، والتعذيب، والتحمّل، والموت، وهي خليفة الرجل. واجتمع الكل على أنّها المجاهدة و الشهيدة.

استجابات جيل الإستقلال: يشعر ويحس بوضعية المرأة إبّان الثورة التحريرية :لأنّها عايشت الظلم، الإعتداء، الفقر، المعاناة، التحدي،... لأنّها امرأة صامدة، مكافحة. يجتمع أغلب أفراد العيّنة على أنّ جيل الأمس من النساء عانين الكثير.

ما يمكن ملاحظته، أنّ كلا الجيلين لهما مواضيع متماثلة ومتقاربة جدا حول تمثّل المرأة خلال الثورة التحريرية. ارتكز كل واحد منهما على أنّها المرأة الأم، والزوجة، والبنت، والمجاهدة والشهيدة. فضلا

عن واقعها الذي عاشته المرأة في الثورة التحريرية في مجابهة الطغيان، والوحدة. ارتكز كل من الفئتين على التقمص الإسقاطي، والتحويل الإيجابي لوصف اللوحات.

8. خصائص سيكومترية للاختبار:

1.8. صدق" اختبار تفهم موضوع المرأة في الفترة التحريرية ": تّم تكييف اختبار تفهم الموضوع للمرأة الجزائرية إبّان الثورة التحريرية من خلال إجراء الإختبار وتفسيره من قبل نفس الفاحص، نتائجه مع الحالات المشخّصة فسّرت أيضا من قبل فاحص آخر لم يرى مجربات الإختبار، بحيث تناسبت النتائج بحوالي 51 .%وهي نسبة معتبرة أيضاً تؤكّد صدق الاختبار.

2.8. ثبات" اختبار تفهم موضوع المرأة في الفترة التحريرية":تمّ الحصول عليه بطريقتين:

3.8. تفسير نتائج نفس البروتوكول من قبل مختصين مختلفين:

تراوحت نتائج الثبات بين الجيلين من قبل فاحص آخر، وقد تقاربت النتائج و قدّرناها بنسبة 55 .% . أي بثبات0,55

4.8. التطبيق وإعادة التطبيق:تمّ تطبيق الاختبار على أشخاص ذو شخصية مستقرّة ومن جيل الثورة التحريرية لمرّتين متتاليتين. كان معامل الثبات أكبر من المتوسط (0,53). واختلفت النتائج نوعا ما عندما طبّق على الشباب (0,46). يمكن القول بأنّ التغيّر الحادث في النتائج راجع إلى التغيّر في الشخصية بتأثير عوامل أكثر أهمية من الوسط (الشعور بدور المرأة).

9. مناقشة النتائج:

النتائج السيكومترية للإختبار (تفهم صورة المرأة الجزائرية إبّان الثورة التحريرية) تثبت بأنّها كافية للتطبيق. يبقى فقط سبل التفسير تعتمد على طريقة اختبار" تفهم الموضوع "TAT مع الأخذ بعين الاعتبار السياق التاريخي الذي أخذت منه .

من المعلوم أنّه تعدّدت طرائق تفسير نتائج تفهم الموضوع بتعدّد الباحثين؛" موراي"، و" طومكينز " (Tomkins, 1947)، بيوتروفسكي(Piotrowski) "، والمدرسة الباريسية. أي أنّه تشترك عدد من النظريات في تفسير نتائج الإختبار، بالرغم من أنّها طريقة تحليل معقّدة. ويشير" موراي "إلى أنّ اختبار تفهم الموضوع لا يعلمنا بكامل شخصية المفحوص. لأنّ أهم قضايا الفرد تجتمع في مجموعة من العناصر المهمة في حياته (العائلة، البحث عن الجنس الآخر، العلاقات الاجتماعية، العمل(، 1976, p. 189).فضلا عن درجة التعقيد في الكيفيات المختلفة بين الباحثين في طريقة تفسير القصّة، وتدخل شخصية الفاحص في عملية التحليل(Gobet, 1976, p. 181) .

لوحظ هذا التعقيد في دراستنا، سيما عند الإعتماد في تفسير الاستجابات الإدراكية على طريقة التحليل النفسي، وكذا الأخذ بعين الإعتبار تاريخ الحالة. فضلا عن الحالات الإنفعالية المختلفة التي تعبّر عن ميولات في شخصية المفحوص. ومن المفترض معرفة معاشه النفسي وسوابقه الحياتية، لكي نقوم بتحليل

شخصيته. وبالتالي يمكن الحصول على حاجيات البطل ومشاعره، والقوى الخارجية التي يواجهها، ونهايات القصّة...الخ.

فيما يخص مدركات المشاركين في الدّراسة فإنّ أغلبهم أبرزوا أنواع التعذيب سيما النفسية منها المطبّقة من قبل المستعمِر. مثل تجريد النساء من الثياب و كشف العورة أمام أهلها أو أمام سكان البلدة، أو اغتصابهن، تكفلها بالعائلة، اليتم، الترمل، الوحدة، التحمّل[2] ...وهي مواقف، كما يراها "بوزارسلان (Bozarslan, 2008, pp. 171–179)"بأنّ المستعمر يريد من ورائها إقامة رجولته على حساب الضحايا، و زرع الكره، والإكتئاب لدى المواطنين. أو بالأحرى الإكتئاب وعدم الشعور بالمستقبل.

يذكر" **فانون** Fanon"في كتابه" : المعذّبون في الأرض"، دوام واستمرار عادات لدى المستعمَر لا تعبّر على الإطلاق عن احترام التقاليد؛ وتضيف" : Diane Fuss ارتداء المرأة الجزائرية للحجاب ")الملاية أو لعجار(.، وهنا جاءت ملاحظات المشاركين مشتركة في انتقاء الصور التعبيرية في هذا السياق) الحرمة، لعجار.(و يشير كذلك من خلال كتابه«L'Algérie se dévoile » [3]" : من ترتدي الحجاب تصبح هي في حدّ ذاتها حجابا ."أي أنّها تريد أن تتحكم في عدم اغتصابها الثقافي قبل الجسمي. فالأمة قائمة على حدّ تعبير" فانون "من خلال هذه الإزاحة التي أقامتها المرأة الجزائرية [والعربية [لتمثّل بذلك الهوية الوطنية السائدة. وهذا ما يفسّر؛ استجابات المفحوصين حول أبعاد الثورة اللاشعورية من خلال المرأة وللمرأة. فبعد ما تغتصب الأرض ستغتصب بعدها الهُوية القائمة في أغلب جنباتها، في رأينا، على المرأة .

ما نريد قوله، استطعنا إلى حدّ بعيد بواسطة أداة البحث الإسقاطية الشبيهة باختبار تفهم الموضوع الكشف عن تمثّل المشاركين في الدّراسة لهويتهم، والشعور بهوية السابقين لهم. عبّروا عن طغيان المستعمر تجاه المرأة، وعن دور المرأة؛ مساندة وفعّالة (إعالة عائلتها، الجهاد) لزوجها، وابنها، وأبيها. لقد تحمّلت، في مخيال المستجيبين كل ما قد فرضه المستعمر على كلّ الشعب الجزائري ابتداءاً من المرأة؛ الفقر، صعوبة المعيشة، الترمّل، اليتم، وحتّى الجنون. وحاول فرض هويته الأوروبية في أشكالها الواسعة .عبّر المستجيبون على أنّها كانت ديناميكية تاريخية قائمة بذاتها. لأنّها قاومت حرمتها بالإنتقال إلى الفعل. وحتّى المخيال المجتمعي تقبّل ذلك. وهو دور يتفق عليه الجيلان نحو المرأة وحجابها. هذا الأخير، كرمزية طاغية على صورة المرأة، كان يميّز بين الجنسين وكان حماية لهما وليس

[2] يشير الأديب" عبّاس محمود العقّاد "في أحد كتاباته على أنّ المرأة لديها قوة التحمّل أكثر من الرجل. (هي التي تستطيع تحمل آلام ابنها عند بكاءه والسهر معه ليلا، عكس أغلب الرّجال. بالنسبة إلى العقاد دال على قوة التحمل .(

[3] يريد التأكيد على اتجاهات المرأة الجزائرية نحو لباسها، وإن نزعته إلا لعظيم (التحرير). ويتقاسم معها نفس الشعور الواعي و غير الواعي المجتمع الذي تنتمي إليه.

للمرأة فقط، لأنّه قد ساعد على الكفاح والثورة، بل وكان راية الثقافة والدين، ومثال على رفض التماهي. وإن تخلّت عنه طواعية، فلأجل التحرّر من العدوان لا من الصمود. لم يسلم الرّجال من التعذيب والتثبيط، من خلال العزلة والوحدة، والنظرات العدائية، والأحكام المهينة، والإبتلاءات، ناهيك عن الإكتئاب الذي يعيشه الفرد الجزائري بفعل مصادرة اللّغة، والتعرّض للعنف المسلّط بالدرجة الأولى على المرأة، ومدى شعوره بالرفض، والنفور، والتعرّض للصدمات المتكرّرة... كان، على نحو شعوري ولاشعوري، حافزا للدفع بالمستعمر خارجا. استطعنا من خلال الاختبار" تفهم صور المرأة المكافحة "تمييز شعور المشاركين في البحث بخصوص ثقافة المستعمِر في زرع التفرقة بين المرء و زوجه، وتعقيد الإتصال بينهما. أو كما يشير" فانون "التفرقة بين الثقافات وخلق الأزمات، أو كما يسمّيه بـ" **:منطق الأبرتايد** "الذي يطلقه على التمييز بين الإخوة في البيئة الواحدة. بكل بساطة، لا يترك الإستعمار للمواطنين الأصليين سوى فرصتين" **:الشعور بالنقص أو الحرّية** ."

في هذا السياق، لقد حرّرت المرأة الجزائرية نفسها وتجرّدت من كل باطل، بعدما شعرت بالتهديد أو فقدت أعز ما تملك (الرجل الزوج ، والأب، والإبن،..) فمن خلال الاستجابات، أظهرت بأنّ أغلب السرد المطروح كان يتحدّث عن المرأة المجسّد في دور الأم. هذه الأخيرة التي رمّلت لأنّها حفظت سرّ زوجها، أو قتل وليدها في المهد، وهي أبشع أنواع التعذيب (كما يصفها بعض المستجيبين)، أو التي قتل أحد أفراد عائلتها وهي شاهدة على ذلك. لقد انطلقنا من الصورة، ووصلنا إلى أحداث ليست بالخيالية، إنّما واقعية. هي في الحقيقة قاسم مشترك، يردّدها الكبار المخضرمون، ويحفظها الصغار . وأضحت اليوم ظاهرة أو مستترة في المخيال الجماعي. وقد استشهد" مالك بن نبي" بأحد الصور التي جعلته يكتب" أنقذوا...الجزائر2010)"، ص.31)، لأنّ تلك الصورة حاول من خلالها إيقاظ مشاعر كل من يتصفح جريدة ذلك اليوم. صورة طفل صغير يبكي ويهز أمّه الملقاة على الأرض، بعدما قتلها المستعمر. فالآخر يقول: بأي ذنب قتلت، و براءة الطفل تلعن :الكل غير مبال.

بالنسبة لـ" فانون"، قانون الحرّية الذي سنّه الجزائري والجزائرية ضدّ الإستعمار هو الإنتقال إلى نظرية» **الجزائري الألم المطلق** «بعدما كان مستسلما إلى نظرية» **الإستعمار الألم المطلق** .«

(Haddad, 2014)لقد اكتشف" فانون "الإنسجام، والثبات الأخلاقي، والإرتباط بالأمة [من خلال الحفاظ على المرأة وأصالتها]، والسخاء، والإستعداد للتضحية (في سبيل الحرّية) لدى سكان الأرياف والفلاحين(Renault, 2009) . يتفق المستجيبون على أنّ العنف الذي سُلّط على الشعب الجزائري عموما، وعلى المرأة خصوصا لم يكن نابعا عن النزوات الفردية (التكلّم عن العنف باسم المستعمر في كلّيته، وليس في فردانية أفراده). بل كان عنفا نسقيا نابعا عن السلطة القهرية (الإمبريالية). وهذه الأنظمة كما نعلم [لا دين لها.[

إنّ عبقرية تلك الثورة من عبقرية الفكر المتطور، والشعور بالمكان الذي يجمع الشعب بعضه في السرّاء والضرّاء .أو هو الشعور بالجزائر الدائم والمستمر. والتعذيب الذي انتهجه المستعمِر على المرأة والرجل انقلب عليه.

يمكن القول بأنّ «اختبار تفهم موضوع المرأة في الفترة التحريرية» وسيلة للاطلاع على رمزية المرأة عموما، ومكانة ورمزية المرأة المكافحة خصوصا. و يمكن للإختبار أن نعتمد عليه لمعرفة المشاعر الشعورية واللاشعورية الفردية والجماعية والانتمائية للفرد.

ونعتقد أنّ اللوحات المستخرجة من الكتاب المذكور (12 صورة)، سهلّت لنا تفسير الرؤى نحو المرأة في ذلك الوقت، وفي الوقت الحاضر، وكشفت بأنّ شباب اليوم شاعر بالمرأة، سيما الأم. و قد تكون هي الدافع المحرّك لكلّ جزائري للتمسّك بمفهوم الحرّية.

من التوصيات التي نريد أن نلتمسها، أنّ «اختبار تفهم موضوع المرأة في الفترة التحريرية» مستمد من التراث الجماعي، يمكن أن يستثمر كوسيلة بحثية في مجال الدّراسات النفسية الإسقاطية. فضلا عن ذلك يمكن دراسة موضوع الطفل المعايش لحرب التحرير كمشروع مستقبلي.

خاتمة:

محاولة دراسة نموذج اختبار شبيه باختبار إسقاطي كـــ"تفهم الموضوع"، لأنّه يسمح بالبحث عن مكبوتات أو علامات ربط ما بين الأجيال، سيما فيما يخص تمثّل المرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية.

لوحظ بأنّ شباب اليوم شاعرين بدور المرأة بالأمس، لما عانته من أضرار الفقدان. وكشفت الدّراسة بأن" اختبار تفهم موضوع المرأة في الفترة التحريرية "له من الصدق والثبات ما يخولّه للإستخدام في دراسات لاحقة أكثر تعمقا، من ناحية التحليل، ومن ناحية أفراد العيّنة .

أوّل محاولة من هذا النوع. أي استثمار لما هو نفسي تحليلي في الموروث الوطني التاريخي. والأمر الأكثر واقعية الذي جعلنا نفكّر في هكذا ترويج للبحوث النفسية التاريخية، ربّما سيطرة القراءات التاريخية المبنية على نقل الحدث فقط. ولأنّ مصداقية الحدث تلهي الفكر أحيانا عن التدبّر العميق. إلاّ أنّ التحليل النفسي، طرق بواسطته الباحثُ بابَ التاريخ ليفتح أبوابا أخرى ليست واضحة المعالم لشباب اليوم.

لا نعن بأنّ الدّراسة انتهت إلى نتائج، وإنّما استطلعت ما يمكن القيام به حيال الدينامية التي سيولّدها الاختبار في دور البحث النفسي وحتّى التاريخي. ونستشرق دراسات على أكبر عدد ممكن من أفراد العيّنة، وفي فضاءات أخرى. بل ويمكن القول بأنّ البحث أعطانا انطلاقة للدّراسات النفسية في مجال الثورة التحريرية تحديدا. و نشير بالذّكر إلى مقالنا الأوّل الذي كان كمحاولة لإبراز أهم استراتيجيات التعذيب الاستعمارية المسلّطة على الشعب الجزائري، وتلك كانت قراءات في تصورات الطبيب" فانون."

من التوصيات التي يمكن المبادرة بها، القيام بدراسة تمس أكبر حجم من العيّنة، ويمكن أن تمس حتى مراحل عمرية أخرى، سيما المراهقة. فضلا عن أماكن أخرى من الوطن.

بالنسبة للصور، يمكن الاهتمام بجانب الطباعة الرفيعة وإخراجها في صورة أحسن، لتجنب مثيرات قد تشوب نتائج البحث.

بناءا عليه، أصالة البحث التي جمعت بين التاريخ وعلم النفس، تفرض (في نظرنا) الاهتمام به من جميع النواحي، سواء البشرية أو المادية لإعطائه طابعا وطنيا أكثر. لأنّه ربّما فتح الباب لهذا النوع من البحوث متعدّدة التخصصات.

قائمة المراجع :

أولا – المراجع باللغة العربية:

– ابن خلدون.(1984)، المقدمة، (ط.05)، دار صادر .تم الاطلاع يوم 10 ماي 2019 .
http://www.maaber.50megs.com/books/ibnkhaldoun.pdf

- بَهتان،ع.(2017)، ميكانيزمات التعذيب الاستعمارية: قراءة في تصورات "قانون ."أبحاث نفسية وتربوية،المجلد10، العدد6، ص ص197–177 .

–بهتان، ع. ا.(2017)،اختبارات الشخصية .جامعة 8 ماي 1945 قالمة، مطبوعة دروس غير منشورة.

– المعجم الوسيط، تم الاطلاع يوم 20 ماي 2019 من الموقع الإلكتروني:
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/الأجيال/

ثانيا – المراجع باللغة الأجنبية:

- BENNABI, M. (2010). Témoignages sur la guerre de libération (préface de S, SELLAM). Alger : Alem El Afkar

- COURRIERE, Y. (1972). La guerre d'Algérie en image (1st ed., Vol. 7). Espagne: Fayard.

-GOBET, J. (1976). Les tests mystifiés: comprendre, analyser, utiliser les tests. Paris : Aubier.

- Haddad, M. (2014). La violence et l'histoire dans la pensée de Frantz Fanon. Sud/Nord, 1(22), 79-87. Repéré à : http://www.cairn.info/revue-sud-nord-2007-1-page-79.htm

- RENAULT, M. (2009). Vie et mort dans la pensée de Frantz Fanon. Cahiers Sens public, 2(10), 133-145. Repéré à http://www.cairn.info/revue-cahiers-sens-.public-2009-2-page-133.htm